﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: 117]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

سببُ الحكمِ على الضّالّين علمُ الله بهم

هناك تناسبٌ بين هذه الآية وسابقتِها، إذْ عِلمُ اللّه يطالُ الضّالّين والمراوغين والمُضلِّين، وكُلَّ مُتستّرٍ بظاهرٍ مُزخرفٍ، فاللّهُ عليمٌ بالخفايا والخبيئات، قال ابنُ عاشور: "و﴿أَعْلَمُ﴾ اسمُ تفضيلٍ للدّلالة على أنّ اللّهَ لا يعزُبُ عن علمه أحدٌ منَ الضّالين، ولا أحدٌ من المُهتدين، وأنّ غيرَ اللّه قد يعلمُ بعضَ المهتدين وبعضَ المُضلين، ويفُوتُه علمُ كثيرٌ منَ الفريقين، وتخفى عليه دخيلةُ بعضِ الفريقين"[1]، والمُضلّون هم أكثرُ أهلِ الأرضِ، واللّه يريدُنا أن نكونَ منَ الفريق المُهتدي، فنتّبعَ ما أمرَنا به، قال البقاعيُّ: "فكأنّهُ قيل: اتّبعوا مَن يعرفُ الحقَّ لأهله، فإنّه مُهتدٍ، غيرَ معرّجين على غيره، فإنَّهُ ضَالٌّ، واللّه أعلمُ بالفريقين، فكُونوا من المهتدين"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَضِلُّ﴾: جذرُ الكلمة هو (ضلّ)؛ ضلّ عنِ الطّريق، تاهَ وابتعدَ، وعكسه يَهتدي. وتقول: ضَلَلتُ بَعيري، إذا كان معقُولًا فلمْ تَهْتَدِ لمكانِه. وأضلَلتُه إذا كان مُطلَقًا فمرَّ، ولمْ تَدْرِ أينَ أخذ. ومنَ المجاز: ضلَّ في الدّين، وقدْ ضَلَّلتُهُ: نسبتَه إلى الضَّلال، وواقعٌ في أضاليلَ وأباطيلَ، وقد تمادى في أضاليلِ الهوى، وفَعَل ذلك ضِلَّةً[3]، ومعنى قولِه تعالى: ﴿يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: يتركُ سبيلَ الهدى – وهو واحدٌ –، ويجنحُ إلى سُبُل الضَّلال – وهي كثيرة –.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/29.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/242.
(3) الرّاغب، المفردات، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (ضلل).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عِـلْـمُ الـلـه بالضّالّين تهديدٌ لـهـم وعـزّةٌ للمهتدين

تُبيِّنُ الآيةُ أنَّ اللّهَ سُبحانَه هُو وحدَهُ أعلمُ بالمُهتدين، مِمّن آمَنُوا بالرّسالة، وهُم قلّةٌ على مَدَى الدَّهر؛ لأنّ النَّاسَ أكثرُهُم يتّبعُون الهَوَى والظّنَّ في أمورهم كُلِّها.

وأمُورُ الدّينِ والعقائدِ أخطرُ ما تتناولُه الآياتُ الكريمةُ، في موضوع الظّنِّ والخَرْصِ.

وتُرشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنّه لا يُستدلُّ على الحقِّ، بكثرة أهلِه، ولا يَدلُّ قلّةُ السّالكين لأمرٍ منَ الأمور أن يكون غيرَ حقٍّ، بلِ الواقعُ بخلافِ ذلك؛ فإنَّ أهلَ الحقِّ هم الأقلّون عددًا، الأعظمون - عند اللّه - قدْرًا وأجرًا، بلِ الواجبُ أن يُستدلَّ على الحقّ، بالطّرقِ الموصِلةِ إليه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الفصلِ:

علمُ اللهِ تعالى هـو الأصـلُ في بـيـانِ هـدايـةِ الخلقِ وضلالِهم

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، فكأنَّ سائلًا قد سأل: لماذا هؤلاء ضالُّون في اتِّباعهم الظَّنَّ، مضلُّون غيرَهم في الخرصِ؟ فقيل: لأنَّ ربَّك هو مَن يعلمُ أحوالَ النَّاس، وهو الّذي يحكمُ بالصّدقِ والعدل، ولذلك فُصِلَت هذه الآية عن سابقتِها، بالإضافةِ لما فيها من معنى التَّعليل، وهي تصلحُ أن تكونَ تذييلًا لما سبقَها، فهي بمثابةِ خُلاصةٍ لها، مع إفادة علمِ اللّه تعالى بخلْقِه جميعًا؛ الضّالِّ منهم والمُهتدِي.

بلاغةُ التّوكيدِ بـ ﴿إِنَّ﴾:

دفـعُ كـلِّ ظـنٍّ بأنَّ أحـدًا سوى الـلـه يـعـلـمُ سبيلَ الهداية والضّلالة

ابتدأ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ بحرف التّوكيد ﴿إِنَّ﴾ الّذي يُفيدُ تأكيدَ الخبر، ووصلَهُ بالّذي

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 142.

قبلهُ، فأكّدَت ما اشتملَت عليه الآياتُ المتقدِّمةُ، وجعلتها خُلاصةً في صورتين: الأولى في بيان ضلال الضَّالّين، والثّانية في هُدى المُهتدين، وأفادَ التَّوكيدُ أنَّ علمَ اللّه بالضَّالين والمهتدين خاصٌّ به، وفيه دفعُ ما يزعمُه الجهلةُ في كلِّ وقتٍ وحين؛ أنَّهم يعلمون سبيلَ الهدايةِ والضَّلالِ، وردٌّ لزعمِهم المأفونِ.

وجهُ إيثارِ التّعبير بالرّبوبيّة في قوله تعالى: ﴿رَبَّكَ﴾:

العنايةُ الربّانيةُ بالنّبيّ ﷺ

إنَّ كلمةَ ﴿رَبَّكَ﴾ تدلُّ على ربوبيّةِ اللّه وقدرته على خلْقِ الأمورِ وتدبيرِها، وأنّه أعلمُ بحالِ عبادِه من غيره. وكلمةُ ﴿رَبَّكَ﴾ تفيد معنى التّوحيدِ والعُبوديّةِ، وأنَّ اللّهَ هو الرّبُّ الّذي يستحقُّ العبادةَ والطّاعةَ من جميع المخلوقاتِ، وكلمةُ ﴿رَبَّكَ﴾ تشيرُ إلى رحمةِ اللّه وعطفِه على نبيّه محمّد ﷺ، وأنّه ينصرُهُ على أعدائه، وكلمةُ ﴿رَبَّكَ﴾ تحملُ معنى التّشريفِ والتّكريمِ للنّبيّ ﷺ، وأنّه يخاطبُه بِصِفَةٍ خاصّةٍ تدلُّ على قربه منَ اللّه واصطفائِه عنده[1].

نُكتةُ استعمالِ ضميرِ الفصلِ ﴿هُوَ﴾:

لا يُحكَمُ على أحدٍ بالضّلالِ أوِ الهدَى إلّا بدليلٍ

الضّميرُ في قولِه تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ ضميرُ الفصل؛ لإفادة قصْرِ المسندِ على المسنَدِ إليه، فالعلمُ بحال الضَّالّين والمُهتدين صفةٌ مقصُورةٌ على اللّه تعالى، لا يُشاركُهُ فيها أحدٌ[2]، ويُعضّدُ المعنى أنّ قولَه تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ اسمُ تفضيلٍ للدّلالة على أنّ اللّهَ لا يعزُبُ عن علمِه أحدٌ منَ الضّالّين، ولا أحدٌ منَ المُهتدين، وأنّ علمَهُ وسعَ الكونَ ومَن فيه وما فيه.

بلاغةُ الإيجازِ بالحذفِ في قولِه تعالى: ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾:

من بلاغة القولِ الإيجازُ في الألفاظِ مع غزارةِ المعنَى

وقولُهُ تعالى: ﴿مَن يَضِلُّ﴾ فيها إيجازُ حذفٍ على تقدير المحذوف؛ إمّا حرفُ الباء ويكونُ التّقديرُ: أعلمُ بمَن يضلُّ؛ أي: هو العالمُ بمَن

(1) ابن جرير جامع البيان: 23/155.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/29.

يضلُّ، وإمّا تقديرُ فعل: يعلمُ الّذي يضلُّ، فلم يقُل: (بِمَنْ يَضِلّ)، وأثبتَها في مقام المُهتدين إبرازًا للاهتمام.

وقد جاءَت على خلاف المعهودِ الشّائعِ، مِن اقترانِ معمُولِ اسمِ التّفضيل بالباء[1]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النّحل: 125].

بلاغةُ تقديمِ علْمِه بـ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ على علمِه ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾:

التَّخليةُ قَبْلَ التَّحلية

قُدِّمَ ذكرُ الضّالين على المُهتدين؛ لأنّ سياقَ الآيةِ يُعالجُ قضيةَ الضّلالِ باعتبارها المحورَ في هذا السِّياق خصوصًا، وسياقِ السُّورة عمومًا، وقد انصَبّت على علاجها جُهودُ الأنبياءِ والرّسلِ، ومن جاء بعدهُم منَ العُلماء والدُّعاةِ، ثُمّ إنّ أكثرَ النّاس يعيشُون في الضّلال، مع أنّ قضيّةَ علم اللّه الّذي لا يعزُبُ عن علمِه مثقالُ ذرّةٍ في الأرض ولا في السّماء، تُؤكّدُ معرفةَ اللّه بطرائق الضّلالِ وأساليبه، وهو القادرُ على أن يُهلكَ أهلَهُ، ويُبيدَهُم فلا تبقى لهُم باقيةٌ.

بلاغةُ الاستعارَةِ في قولِه تعالى: ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾:

تَشبيهُ الإسلامِ بالطّريقِ المحسوسِ، يَسلكُه المُهتدون، ويُعرضُ عنه الضّالّون

في قولِه تعالى: ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ تشبيهُ الإسلامِ بالطّريق المحسوسِ، الّذي يسلكُه النّاسُ المهتدون إلى دين اللّه، العاملون بشرعِه، وهناك مَن يضلُّ عنه، فيسلكون سُبُلاً أخرى، وفي ذلك استعارةٌ تصريحيّةٌ؛ إذ صرّحَ بالمشبَّه به وهو السّبيلُ، وحذفَ المُشبّهَ وهو الإسلامُ.

بلاغةُ الكنايةِ في قوله تعالى: ﴿مَن يَضِلُّ﴾:

الوعيدُ بالكنايةِ أشدُّ منَ التّصريحِ به

الجملةُ خبريّةٌ، تتضمّنُ الوعدَ والوعيدَ؛ فعلمُ اللّه تعالى بالضّالّ والمُهتدي مع التّكرار، كنايةٌ عن جزائِهِمَا كُلًّا بما يستحقُّ[2]، فأهلُ الضّلال يُجَازَون على ضَلالِهِم، وأهلُ الهِدَايَةِ يُجَازَونَ على

(1) رضا، المنار: 8/15.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/213.

صَلاحِهم، وفيها كنايةٌ عنِ الإحاطة بالأمور، والمعرفةِ بخبايا المخلوقاتِ ومصائرِ العبادِ، والتّركيبُ هُنا جُملةٌ خبريّةٌ، غرضُها الوعدُ والوعيدُ[1].

نُكتةُ تكرارِ قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾:

علمُ الله شاملٌ حـالَي الضَّالين والمهـتدين على حدٍّ سواء

عبارةُ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ تكرّرَت مرّتين، وفي ذلك من توكيد علمِه ﷻ بخلْقِه، الضّالين منهم والمُهتدين على حدٍّ سواء، وفائدةُ ذلك الاحترازُ من وهمِ أنَّ علمَ الله أشملُ بالضَّالين منه بالمهتدين، فكان تَكرارُ هذه الجملة لبيان تساوي العلْمِ بالحالين.

بلاغةُ اختلافِ المقابلةِ بين جملتَيْ: ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ و﴿أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾:

اللـهُ أعلـمُ بما يستحقُّه أهـلُ الـضّـلالِ وأهـلُ الهدايةِ

جمعَتِ الآيةُ بين حالَيْن مختلفين؛ وهما الضّالّون والمهتدون؛ وكشفَت عن شُمول علمِ اللهِ بالنّاس جميعًا؛ إذ هم فريقان لا ثالثَ لهما؛ الضّالّون والمهتدون، وعبّرَ عنِ الضّلال بالإفراد فقال: ﴿يَضِلُّ﴾، وعنِ الهداية بالجمع فقال: ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، وجعلَ الضّلالَ فعلًا مضارعًا ﴿يَضِلُّ﴾ فأفاد التّجددَ، وجعلَ الهدايةَ اسمًا ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ لدلالة الثّباتِ والاستقرارِ، فتنوّعَت أساليبُ المقابلةِ في الآية.

فما بين ﴿مَن يَضِلُّ﴾ و﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، ما يُحقّقُ دلالةَ الشُّمول لكلّ أصنافِ الضّلالِ وطرائقِه، ويستوعِبُ مداخِلَهَا وأساليبَهَا، وكذلك طرائقَ الهدايةِ إلى سبيله سبحانَه، وأثبتَ في الأولى شبهَ الجملة: ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾، وحذفَها في الثّانية؛ وذلك لأنّ سُبلَ الضّلالِ كثيرةٌ، وسبيلَ الهدايةِ واحدٌ، وهُو سبيلُ اللّه سُبحانَه، فاقتضى السّياقُ ذكرَه؛ للتّنبيه على أنّ مسلكَ الهدايةِ إلى سبيلِ اللّه واحدٌ، لا يَقبلُ الظّنَّ ولا التّخريصَ، أمّا في الثّانيةِ فاكتفَى بذكر المُهتدين للسّببِ نفسِه، فمَنِ اهتدى فقد سارَ على الطّريقِ الصّحيحِ، وقد ذكرَ

(1) مخيمر، معجم الأساليب البلاغيّة، ص: 116.

الضّلالَ بصيغة الفعل ﴿يَضِلُّ﴾، وهُو ما يعني التّجدُّدَ والاستمراريّةَ مع الزّمن، وهذا مُنسجِمٌ معَ تَعَدُّدِ سُبلِ الضّلالِ وتنوُّعِها؛ فالّذين يَضلّونَ عن سبيل الله، يَتقلّبُونَ في سُبُلِ الضّلال، ثُمّ ينالُهُم ما يُرافق ذلك منِ اضطرابات النّفسِ والخِذلانِ، بينما ذُكرتِ الهدايةُ بصيغة الاسم؛ لتدُلَّ على الاستقرارِ والثّباتِ، فأمثالُ هَؤلاء قد سَاروا في سبيل الله، وهُو سبيلٌ واحدٌ، لا يتغيّرُ ولا يتبدّلُ، ثُمّ ما يُصاحبُ ذلك منَ الهُدوءِ والطُّمأنينةِ والاستقرارِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

السَّبيل والطَّريق:

السَّبيلُ أغلبُ وُقوعًا في الخيْرِ منَ الطَّريقِ

السَّبيلُ مشتقٌّ منَ الجذر (سبَلَ) الدّالِّ على امتداد الشّيء؛ وسُمِّي السّبيلُ بذلك لامتدادِه متميّزًا بين ما حولَه من أرضٍ، مُوصلًا إلى مكانٍ آخرَ، فهو جادَّةٌ مسلوكةٌ ممتدّةٌ طولًا لاحبةٌ بما فيها، ويُطلَقُ على الطّريق الّذي فيه سهولةٌ، ويُستعمَلُ السَّبيلُ لكلّ ما يتوصّلُ به إلى شيءٍ خيرًا كان أم شرًّا، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النّحل: 125]، وقال: ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٥٥﴾ [الأنعام: 55]، وهو أغلبُ وقوعًا في الخيرِ، ولا يكادُ اسمُ الطّريق يرادُ به الخيرُ إلّا مُقترنًا بوصفٍ، أو إضافةٍ تخلّصُه لذلك، كقولِه تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

ولذلك ناسبَ ورودُ لفظِ (السّبيل) في النّظم الكريم؛ لما يحويه منَ المعاني الواسعة الممتدّة طولاً، ولوصْفِه بالسّهولة والخيرِ، وهي معالمُ تتواءمُ مع هذا الدّين القويمِ ومقاصدِه وتشريعاتِه.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب: (سبل)، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 313.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»